



لا يمتلك ما يسمى التحالف الدولي ضد الإرهاب، بقيادة أميركية، إستراتيجية سياسية واضحة، تتجاوز القصف من الجو، كفعل موجه ضد تنظيم داعش، مع أنه يظهر، وكأنه يمتلكها في العراق، لأن أميركا ضغطت لتشكيل حكومة جديدة هناك.

ولأن الناطقين باسمها يكررون كلاماً، عن دور العشائر العربية السنوية، مستعراً بشكل عام من تجربة "الصحوات" في مرحلة سابقة.

أما في سوريا، فيغيب حتى هذا المظاهر. وفي حين يقصف التحالف تحركات داعش على أجزاء من سوريا بالقناص الذكية، يرمي النظام أجزاء أخرى منها بالبراميل الغبية، وكأننا إزاء تقسيم عملٍ بينهما.

وما من تقسيم عمل فعلاً، ولكن ممارسات التحالف أصبحت عرضة لهذا التأويل، لأنه لا يملك إستراتيجية للتخلص من داعش، ولا لإطاحة النظام.

بدون هذا، لا يمكن فهم تحالف أربعين دولة ضد داعش. هل يصدق أحدٌ لزومَ كل هذا؟

لو كانت ثمة خطة سياسية حقيقة، من أي نوع، لما احتاجوا إلى أربعين دولة، تحصر نفسها في التناوب على مهمة واحدة، هي القصف من الجو، وبعضها يشارك رمزاً ليسجّل موقفاً.

وتنقسم المواقف الإقليمية إلى اثنين:

١- ترغب إيران بالانضمام إلى التحالف بشرط أن يحارب الإرهاب لمصلحة النظام.

أما التدخل نفسه وأميركا نفسها فليسوا عائقاً، ولم يكونا عائقاً كهذا في العراق وأفغانستان.

2- شرط تركيا وجود إستراتيجية للتخلص من داعش والنظام، والوسيلة تدخل بري، يبدأ بفرض منطقة حظر طيران، وإقامة مناطق عازلة لإيواء اللاجئين السوريين داخل بلادهم.

أما الدول العربية فلا تشكل محوراً من أي نوع (لا اعتدال ولا مقاومة)، فالنظام السوري يريد الانضمام إلى التحالف، و"شرطه" الوحيد أن يقلle التحالف عضواً فيه.

وتنضم دول عربية، جماعات ووحدات، إلى أميركا بدون شروط، أما البقية فخارج السياق.

أما الغائب الرئيسي عن النقاشات المتواصلة حول دور ما يسمى بالتحالف الدولي ضد الإرهاب فهو الشعب السوري وممثلوه. وحذور الغياب في نكبة الشعب السوري الثانية، بعد نكтиه بنظام يشن عليه حرب إبادة وبحرق بلاده.

حتى في أعقد الظروف، وأحال الأوقات، لم تنشأ قيادة وطنية موحدة، تخضع لها قوى مسلحة في مرحلة الثورة المسلحة. وذلك لأن سبب عديدة، لا مجال هنا للخوض فيها.

ذكر منها قلة التجربة السياسية والتنظيمية في ظل الاستبداد وفي المنافي العربية، والنرجسيات، حتى في صغار الأمور، بعد قمع غير محدود لـ"إيجو" في ظل الاستبداد، وتشتت التنظيمات المسلحة الناجم أساساً عن بدايتها العفوية، كمبادرات داعية محلية، بقيادات محلية لم ترق إلى مستوى القيادة الوطنية، وتعزيز تشتتها بازدياد نفوذ قوى مسلحة، ترفع شعاراتٍ دينية سياسية، لا علاقة لها بأهداف ثورة 2011.

وأخيراً، تواصل الدول مباشرة مع المعارضة المسلحة، وليس عبر قيادة سياسية موحدة.

لم يشاور التحالف سورياً واحداً (لا في الدولة ولا في المعارضة) بشأن استراتيجيته. فهو لا يعترف بشرعية النظام، ولا يأخذ المعارضة بجدية. والأخيرة تتضمن مناضلين أشداء، حملوا السلاح ثلاث سنوات متواصلة، ولا يجوز تجاهل تجربتهم الفريدة؛ كما تشمل سياسيين ومثقفين، عانوا السجون والمنافي، ويعروفون سورية والمنطقة، ولديهم تصورات مهمة.

ولكن، هذه التجارب الثمينة ستذهب هباءً، لأن المعارضة المسلحة والسياسية مشتتة، وغيبت في تشتتها حتى وثائق مهمة، التزمت بها فصائلها السياسية كافة عام 2012. فحين تحدث المناوشات على عضوية ورئاسة هيئاتٍ لا وجود فعلياً لها، لا يتذكر أحدٌ وثائق تتعلق بمستقبل سوريا، سبق أن أجمعـتـ عـلـيـهاـ المـعـارـضـةـ؟ـ في غياب الخطط التي تحدد الهدف والاستراتيجية والأدوات، لا يسقط النظام، بل يتآكل ويهترئ، إلى أن يتهاوى، وتنداعـيـ معـهـ سورياـ.